قصة للأطفال

مقطع خيـرة

بقلم:
رابح خدوسي

رسم:
عبّاس بن يوسف

منشورات الحضارة

2015



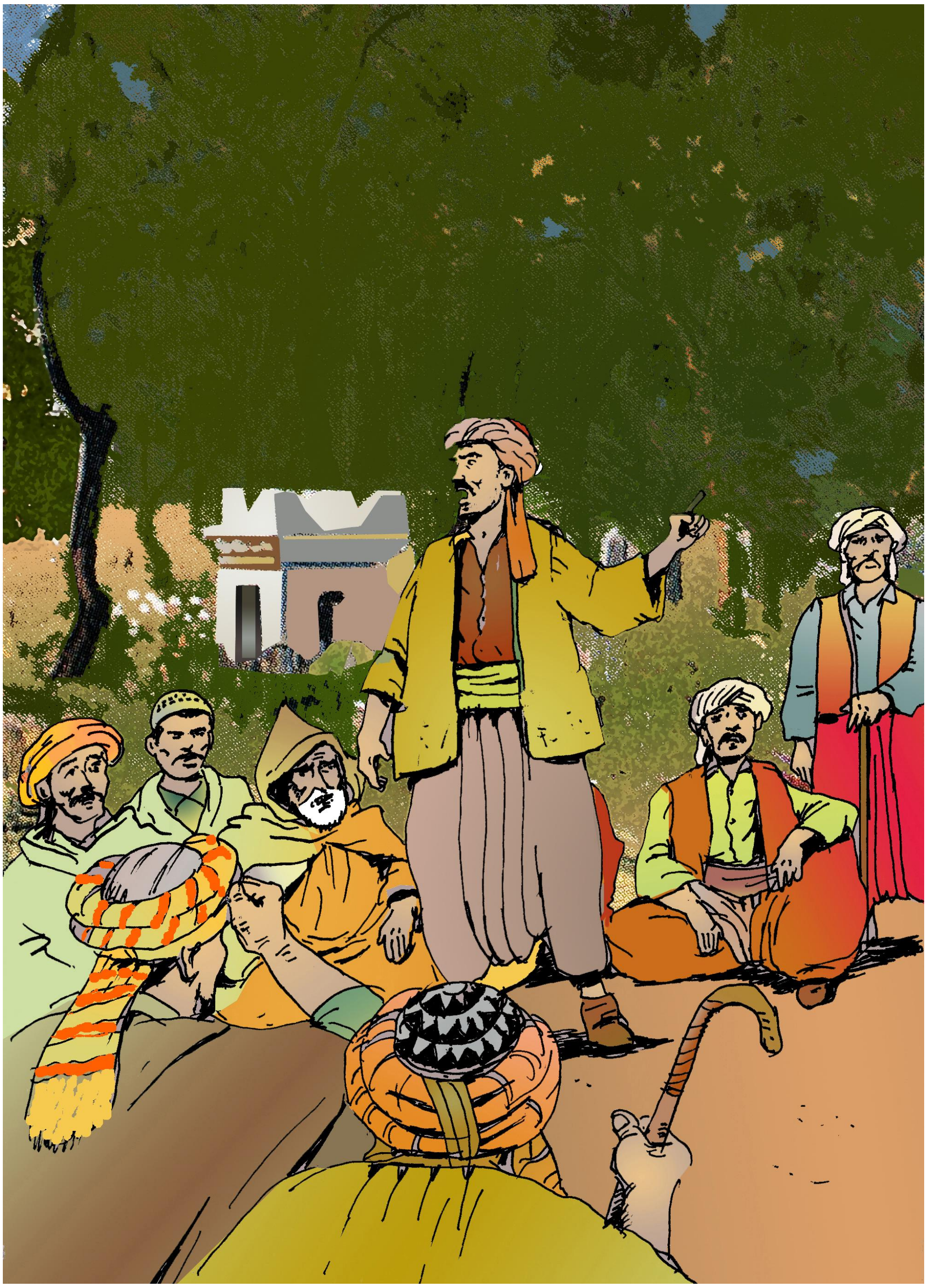
- احذروا المرورَ عبرَ هذا المكانِ،،،

هكذا كانَ النَّاسُ يُوصونَ بعضهمْ، ويُحذِّرونَ من ذلكَ الطريقِ الرابطِ بين سهل متيجة وشاطئ البحرِ، والذي يقطعُ وادي مزفران، وسطَ غابةٍ كثيفةٍ تكثرُ فيها الحيواناتُ والطيورُ..

كانَ عبورُ هذهِ الغابةِ يُخيفُ كثيرًا أصحابَ القوافِلِ المحمّلةِ بالبضائعِ الفلاحيةِ والتجاريةِ ذهابًا وإيابًا!!.

ماسبَبُ الخوفِ يا ترَى؟!.

في وسطِ الغابةِ يوجدُ جسرٌ صغيرٌ يعبرُ فوقهُ النَّاسُ على وادي مزفران... يسمى "المقطع" وكلّمَا مرّوا في هذا المكانِ، خرجَ من الغابةِ قاطعُ طريقٍ، شخصٌ يضعُ قناعًا على وجههِ، يلبسُ قشابيةً ويحملُ سيفًا في يدهِ يهدّدُ به المسافرينَ، فيهربونَ تاركينَ امتعَتهم وبضائعَهم...



صار"المقطع" شهيرًا بالخوفِ وأصبحَ النَّاسُ لا يمرّونَ عليهِ إلاّ إذا كانوا جمعًا ومعهم أسلحتُهم...

احتارَ سكانُ سهل متيجة في أمرِ هذا الرَّجلِ المقنَّعِ الذي لا يخافُ أحدًا ويخافهُ الجميعُ!!.

في يومٍ من الأيامِ التقى سكانُ مدنِ متيجة كالبليدة والقليعة وبوفاريك في وعدةِ سيدي الكبير، وتشاورُوا في موضوعِ الرَّجلِ المجهولِ قاطعِ الطريقِ، الذي يعترضُ سبيلَ المسافرينَ، ويسلبُ أموالَهم حتىَّ امتنعَ سكانُ البحرِ عن الذهابِ إلى سهلِ متيجة وجبالهَا خوفًا منهُ، وامتنعَ كذلكَ سكانُ متيجةَ من الذهابِ إلى الساحلِ للاستحمامِ والاستجمامِ على شاطئِ البحرِ...

هاهمْ يتشاورونَ ويتبادلونَ الآراءَ في الأمرِ، ثُمَّ يتساءلونَ ويقدِّمونَ حُلولاً للتخلصِ من الرَّجلِ المقنّعِ.

هـل يبحثـونَ عـن طريـقٍ آخـر يـمرّونَ بـهِ، ولوكـانَ طـويلاً وملتويًا؟

أمْ يجمعونَ أعدادًا من النَّاسِ فيبحثونَ عن قاطعِ الطريـق ويقبـضونَ عليـهِ أمْ يحرقـونَ الغابـةَ الـتي يـسكنهَا ليتخلـصوا منهُ؟.

وقفَ ابن المدّاحِ أحدُ الرِّجال الأقوياءِ، ثـمَّ قـالَ وهـو يفتـلُ شاربيهِ:

- لا،،لا،، كيفَ تقتلونَ رجلاً دون محاكمـةٍ وتحرقـونَ غابـةً كاملةً من أجلِ لصٍ...؟!

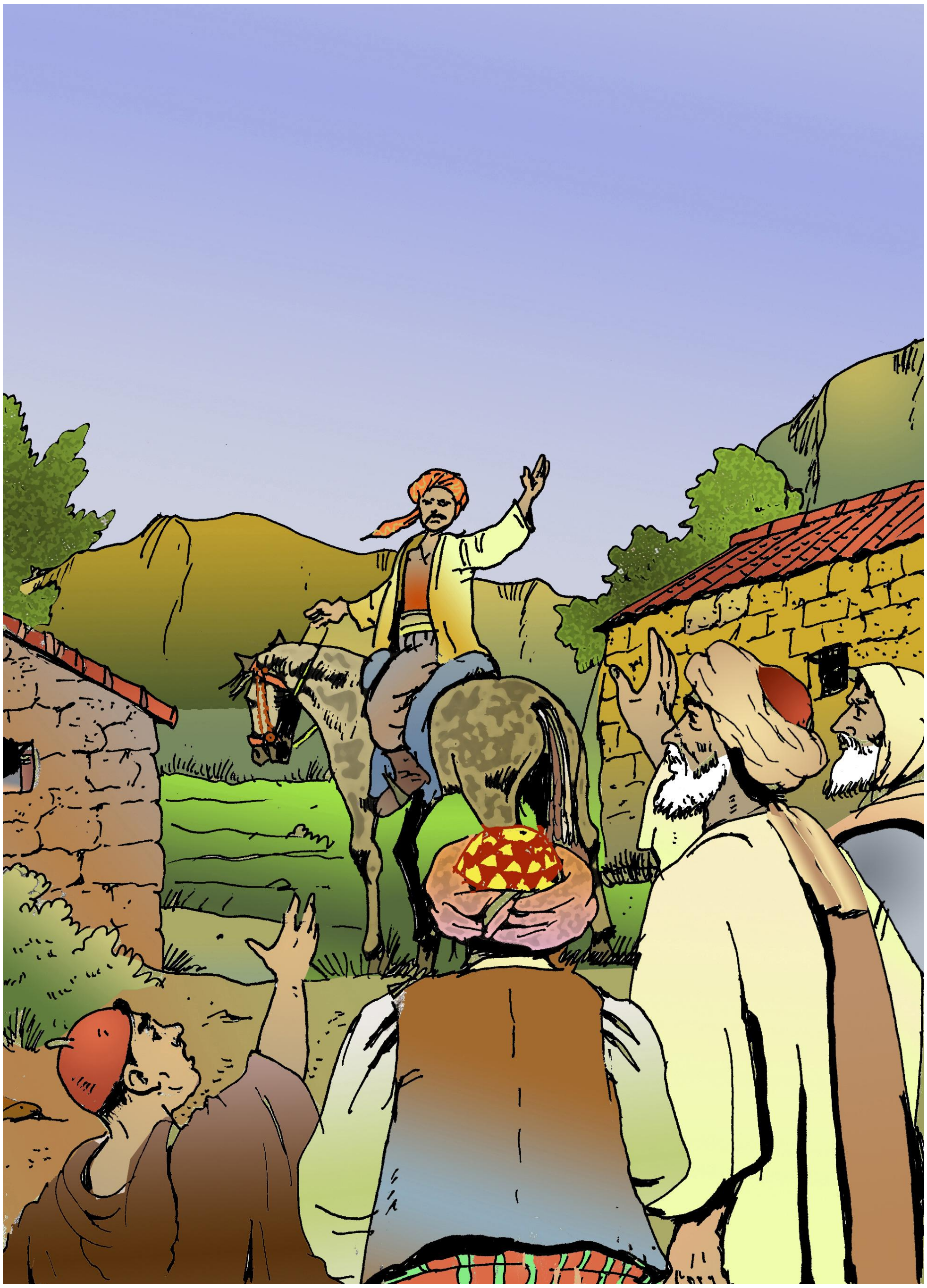
سالوهُ:

- هل عندك حلٌّ آخرَ..؟!

أجابَ:

- نعم... ساذهبُ إلى هذَا المتوحشِ، ولنْ أعودَ إلاَّ ورأسُـهُ معي حيًا أوميتًا.

تعجّبَ الحاضـرونَ مـن كلامـهِ، ونـصحهُ بعـضهم بالعـدولِ عن هذهِ المغامرةِ التي قدْ تودي بحياتهِ إلى الهلاكِ، لكنّـهُ أصـرَّ وقرَّرَ السفرَ...



في صباحِ اليومِ الموالي جهزَّ ابن المداحِ نفسهُ، واعتلى حصانهُ ثم اتَّجهَ صوبَ البحرِ، وقفَ النَّاسُ يودّعونهُ كانهُ ذاهبٌ إلى حيثُ لا يعودُ...

وشاعَ الخبرُ في المدنِ والأريافِ، وقيلَ:

ـ ابن المداحِ راحَ يموتُ...!!.

مرَّ أسبوعٌ والسكانُ في حيرةٍ ... ثمَّ قالوا:

- لَقَد طالَ غيابهُ، هيا نذهب للبحثَ عن جثتهِ قبلَ أن تاكلهَا الذئابُ والسباعُ...

وكانتِ المفاجاةُ قبلَ نهايةِ النهارِ!

ما إن حلَّ عصرُ ذلكَ اليومِ حتىَّ عادَ الفارسُ ابن المداحِ، وخلفهُ على الحصان امرأةٌ ذاتُ حسنٍ وبهاءٍ، يتبعهمَا حصانٌ آخر من غيرِ راكب...



أسرعَ السكانُ نحوهُ يسالونهُ:

- من تكونُ هذهِ المرأةُ؟!... لقد سافرتَ لتخلّصنَا من قاطعِ الطريقِ أمْ ذهبتَ لتبحثَ عن امرأةٍ تتزوجهَا؟!

نزلاَ من فوقِ الحصانِ، وبعدَ استراحةٍ قصيرةٍ، قالَ لهم:

- هذهِ زوجتِي... واسمعوا الحكايةَ من البدايةِ...

لما ذهبتُ إلى ذلكَ المقطعِ المخيفِ، امتلكنِي رعبٌ شديدٌ، فعزمتُ على العودةِ إليكم، ولكننِي خشيتُ سخريتكم إنْ أخلفتُ وعدي، ففكّرت في حيلةٍ تنقذني من ورطتي..

قلتُ في نفسِي:...

- ساغنّي وأمدحُ مثل أبي لأطربَ نفسي، وأشغلهَا عن الخوفِ، وقد يعرفُ قاطعُ الطريقِ أنني لستُ خائفًا منهُ فلا يقتربُ مني.



وبقيتُ ثلاثةَ أيامٍ أصبحُ فيها وأظلُ وأمسي أغنيٍّ في الغابةِ باحثًا عن اللِّصِ قاطعِ الطريقِ..

وفي اليومِ الرابعِ كنتُ كالعادةِ أمشيِ، وفجاةً وجدتُ أمامي رجلاً مقنّعًا شاهرًا سيفَهُ، يركبُ فرسًا !!

خفـتُ أولَ الأمـرِ وكـدتُ أهـربُ منـهُ، لكـنني تَـشَجَّعتُ واستمعتُ لهُ وهو يقُولُ بصوتٍ عالٍ:

- أتغنِي ... وأنت ميتٌ؟!

جمعتُ شجاعتي وجرأتي وقلتُ:

-ما قيمـةُ الحياةِ إذا كان أمثالـكَ ينـزعونهَا مـن أصحابهَا متىَ شاؤوا ؟!

سالني:

- من أنتَ ؟

فسالتهُ:

-ألم يعجبكَ الغناءُ ؟

فسالني المقنَّع:

- هل أنتَ شاعر؟.



قلت:

- أنا ابن مدّاح...

فقال:

- إذنْ أنتَ شاعر..

(وبعد صمتٍ قصيرٍ) سألني مستهزئًا ومهددًا:

- ماذا قالوا في مثْلِ هذا السيفِ الذي سيقطعُ عنقَكَ بعد حينٍ؟

قلت وأنا أرتعدُ، ما قالهُ الشاعرُ:

"السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ●في حدِّهِ الحدُّ بينَ الجدِّ واللعبِ".

وماذا تقولُ أنتَ في المرأةِ؟

- المرأةُ زهرةٌ الدنيا وريحانةُ الآخرةِ.

سَألني مرةً ثانيةً:

- أنتَ شاعرٌ أليسَ كذلك؟!.

استجمعتُ قِواي وقلتُ لهُ:

- وماذَا يفيدُ الشعرُ معَ اللصوصِ قطاعِ الطرقِ... ماذَا ينفعُ غير...

فقاطعني الرجلُ المقنّعِ:

ـ لا... لا تكمل وإلاّ قطّعتكَ إربًا إربًا ورميتُكَ للذئابِ...

ثم تراجعَ قليلاً إلى الوراءِ، فظننتُ أنَّهُ مقبلٌ على قتلي، وهياتُ نفسي للمبارزةِ ...

مرّتْ لحظاتٌ ...ثم نطقَ بلسانٍ فيه لَينٌ:

ـ اخترْ بينَ أمرينِ اثنينِ: إمَّا أنْ تقولَ قصيدةً تهجو فيهَا كلُ الذكورِ أو تموتَ تحتَ حوافرِ فرسي...

فاحترتُ لهذَا الأمرَ، وساورتني عدّةُ شكوكٍ في أمرِ هذَا الرجلِ الغريبِ، وبعدَ تفكيرٍ قصيرٍ قلتُ لهُ:

- أفضّلُ أنْ أقولَ قصيدةً أمدحُ فيهَا كلُّ النِّساءِ.

فقالَ ضاحكًا:

- قلهَا...وإذا لمْ تعجبْني ستدفعُ ثمنهَا من دمكِ.

قلتُ:

- ساقولـُها لكَ غدًا، في هذَا المكانِ والزمانِ.

وافقَ الرجلُ المقنّعُ على رأيي، ثم انصرفَ بعد أنْ قالَ لي قولاً عجيبًا:

ـ كلامكَ جميلٌ !! لكنْ خلاصكَ مني مستحيلٌ !! ...

مرّتْ ليلةٌ كاملةٌ وأنا أبحثُ في ذاكرتي عن القصائدِ التي حفظتهَا عن أبي، فلمْ أجدْ غيرَ قصائدِ مدحِ الرسولِ والخلفاءِ، فقررتُ انشاءَ قصيدة بنفسي، حتى أكونَ وفيًا لعهدي.

وفي يومِ الغدِ حانَ موعدُنَا، فقدِمَ الرجلُ المقنَّعِ، ووجدني في انتظارهِ بالمكانِ، فبدأتُ اسمعهُ قصيدةً في وصفِ النساءِ وجمالهنَّ.



وكانتِ المفاجاةُ أن نزعَ الرجلُ القناعَ عن عينيهِ،ثُمَّ قال:

- هَل رأيتَ في من وصفتَ مـن النـساءِ أجمـلَ مـن هـاتينِ العينينِ؟ وهذاَ الوجهِ؟.

فانبهرتُ وكدتُ اسقطُ مغمى علي من هولِ المفاجأَةِ... إنهاَ امرأةٌ !!

لم أجبهاَ ..ثم كشفتْ عن رأسهاَ فظهرَ شعرهاَ، وقالت:

-هلْ قلتَ شعرًا في مثلِ هذَا الشعرِ ؟!

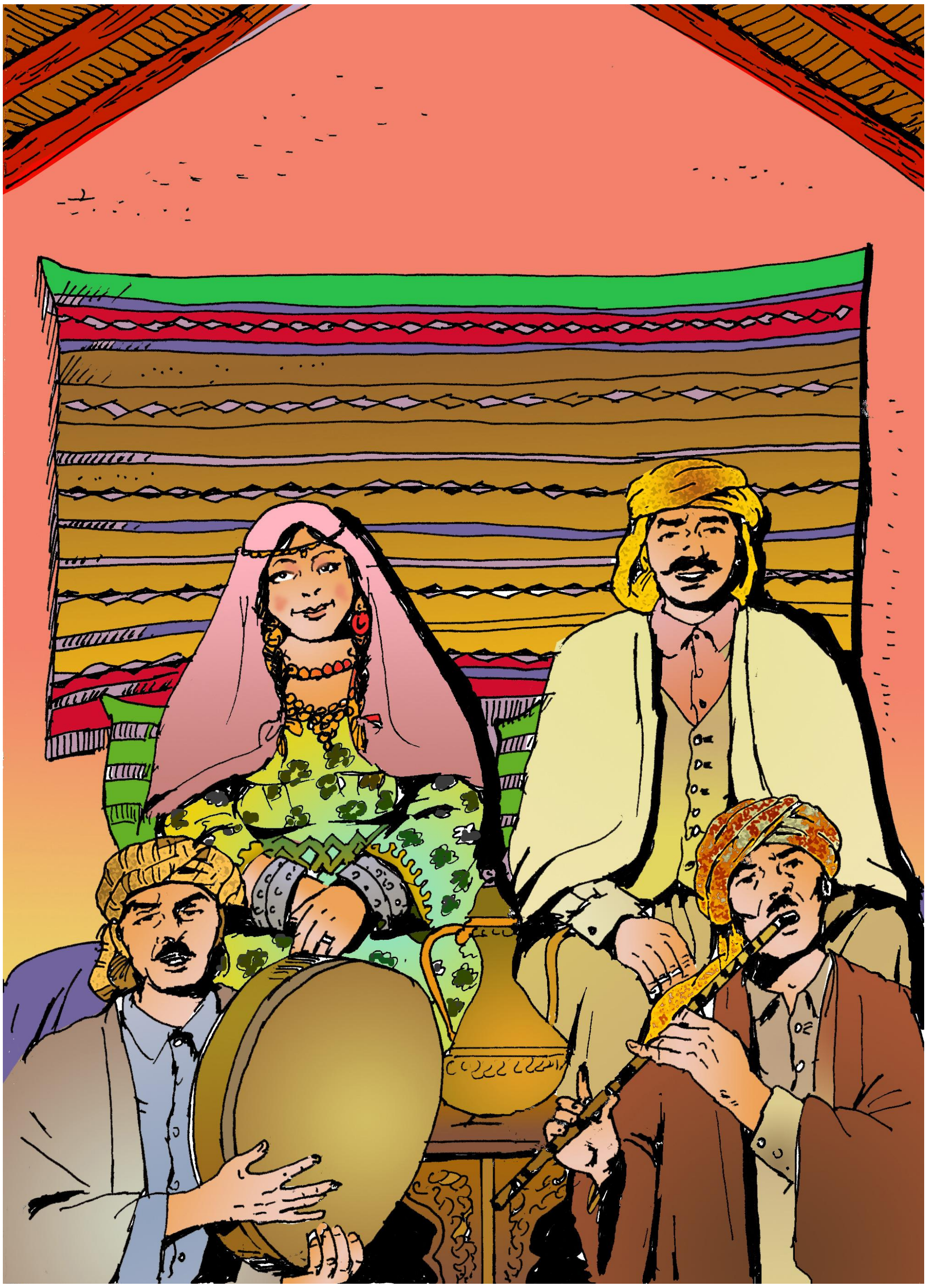
ثم رمتْ القشابيةَ، فتاكدتُ من أمرِهاَ...

وأمامَ دهشتي وارتباكِي، ضحكتْ وقالت:

- اسمي خيرة... ما أغفلكُم أيهاَ الرِّجال !!

ثم أردفت قائلةً:

- أُعجبتُ بكَ بعدماَ قاتلتني بالشعرِ والودِّ فملكتَ أمري.. وها أنا أتوبُ على يَديكَ.



لم أصـدقْ حـالي وبقيـتُ حـائرًا في أمـري، وكيـفَ أنـني لم أكتشفْ صوتهَا الأنثوي منذُ الأمسِ؟!...

وما أفقـتُ مـن شـرودِي إلاّ ويـدِي تمتـدُ لمـساعدتِهَا علـى الركوبِ معي، وهاهي الآنَ بينكم...

لما سمعَ الـسُّكانُ قـصةَ المـرأةِ الرجـلِ، تعجبـوا كـثيرًا، ثـمَّ اقتربوا منهَا يتاملونهَا في حذرٍ، فابتسمت لهم، وطلبت العفوَ مـن الجميـع الـذين أقبلـوا يهنئـونَ الفـارسَ ابـن المـداحِ بهـذَا الحدثِ السعيدِ، وأقيمتْ الأعراسُ والأفراحُ بزواجهمَا.

وعاشَ النَّاسُ في راحةٍ واطمئنانٍ يسافرونَ ليلاً نهارًا، دون خوفٍ، وصارَ ذلك المكانُ يدعى مقطع خيرة... إلى اليوم.

النهاية

****

© منشورات الحضـارة
ص ب 04 (A) بئر التوتة -الجزائر 16045
هاتف/فاكس: 46. 70. 41. 21(00213)
البريد الإلكتروني: kheddoucir@yahoo.com